تطـــوُّر علوم التفسير في العالم الإسلامي

أ.د. عبد السلام مقبل المجيدي

مؤسسة نماء للبحوث والدراسات
قرآن يتلى لإنسانية ترقى

تَطوُّرُ علوم التَّفسيرِ في العالم الإسلاميِّ

مقدِّمة

الحمد لله حمدًا يُبَلِّغني رضاه، وإن كان جُهْدُالحمدِ لا يفي بشكر نعمةٍ واحدةٍ من نعمه.

اللَّهمَّ تجاوَزْ عن تقصيري في حمدك ومرضاتك، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على النَّبيِّ المصطفى، والخليل المُجْتَبَى، والشفيع المُرْتَجَى، وعلى آله وصحبه صلاةً وسلامًا دائِمَيْن في كلِّ لحظة أبدًا، عَدَد خلقك، ورِضا نفسك، وزِنَة عرشك، ومِدَاد كلماتك التامَّات المباركات، وبعد:

فشَرَفُ العلمِ إنما يكون باعتبار موضوعِه وغايتِه، وقد قال أبو القاسم حسين بن محمد الراغِب الأَصْفهاني: "عِلْم التفسير قد حاز الشرفَ من جهات ثلاث:

أحدها من جهة الموضوع؛ فإنَّ موضوعَه كلامُ الله تعالى، الذي هو يَنْبُوع كلِّ حِكْمة، ومَعْدِن كلِّ فضيلة.

وثانيها: من جهة الغَرَض؛ فإن الغَرَضَ منه الاعتصام بالعُرْوَة الوُثْقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي هي الغاية القصوى.

وثالثها: من جهة شدَّة الحاجة؛ فإن كلَّ كمالٍ ديني أو دنيوي مفتقرٌ إلى العلوم الشَّرعِيَّة والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى"[1].

وقد عُقِدت هذه الدورة للتعرُّف إلى نشأة علم التفسير وأصوله، والمراحل التي مرَّا به حتى غدا علمًا مستقلًّا، وكذا التعرُّف إلى الصَّنعة التَّفسيريَّة التي تكاملت وتنامت عبر القرون، وكان لكلِّ قرن منها جهود لا تُنكر، وإسهامات علميَّة واضحة، وبصمات ظاهرة

(١) أبجد العلوم (٢/ ١٧٥).

تجلَّت من خلال ما سطَّروه في تفاسيرهم من نفائس ودُرَر، وليس الغرض الاستقصاء، بل الغرض الإشارة إلى أبرز كتب التفسير التي كانت فاصلة في علم التفسير، وظهرت فيها الصَّنعة التَّفسيريَّة بشكل واضح، وكان لها الأثر الكبير في التفاسير التي جاءت بعدها، فأصبحت عمدة يرجع الناس إليها.

كما أشير بشكل مختصر إلى الأشكال التي ظهر فيها علم التفسير وأصوله، وإلى المصطلحات التي برزت لتشير إلى علم التفسير، وأبرز المؤلفات في التفسير وأصوله.

عبد السلام مقبل المجيدي
s١٤٣٥y@gmail.com
٤ محرَّم ١٤٤٥هـ
٢٠٢٣/٧/٢٢م

نَشْأة علم التفسير وأصوله

(وهنا نعرف كيف كان النَّبيُّ ﷺ والصَّحابَة ﷺ يفهمون القرآن الكريم):

وقد تسأل: كيف نشأ علم التفسير وأصوله؟ وهل كان الصَّحابَة ﷺ يعرفونه كما هو مدوَّن اليوم؟

جواب ذلك في الآتي:

المرحلة الأولى: نزل القرآن الكريم على نبيٍّ أميٍّ، وقوم أُمِّيِّين في غالبهم، ولكنهم امتازوا بالبيان في ألسنتهم حدًّا أَدْهش غير العرب:

كما في إعجاب الشاعر الألماني (جوته) بقصيدة ابن أخت تأبَّط شرًّا[1]، وبهذه الإبانة الفائقة للغتهم نَزَل القرآن، كما قال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الزخرف:١-٢]، فجعله مُبِيْنًا؛ لشدَّة وضوحه، واصفًا إيَّاه باسم الفاعل، وحقُّه أن يُوْصَف باسم المفعول، ولكنَّه عَدَل عن ذلك إلى اسم الفاعل؛ لشدَّة ظهور الإبانة فيه، حتى كأنه يتكلَّم بذاته، ولذلك كان العرب والعجم يُسْلِمون إن قرؤوه، إن لم يَحُلْ بينه وبينهم حاجز العِناد والتعصُّب.

(١) هي قصيدة أنشأها ابن أخت تأبَّط شرًّا، وأعجب (جوته) بها عندما تُرجِمت إلى الألمانية، فاستفزَّ يحيى حقِّي محمود شاكر بمقال يتعجَّب فيه: كيف يَعْجَب شاعر ألمانيا العظيم بشعر لبَدَوي، فأنشأ شاكر كتابه "نمط صعب، ونمط مخيف" للردِّ على هذا التَّصاغُر الثقافي، ومطلع القصيدة:

إنَّ بالشِّعْبِ الذي دون سَلْعٍ ... لقتيلًا دَمُه ما يُطَلُّ

انظر: كتاب نمط صعب ونمط مخيف، لمحمود شاكر (ص: ١).

المرحلة الثانية: حفظ النبي ﷺ ألفاظ القرآن حتى يبلِّغَها أمَّته، فهو معصوم في حفظها وتبليغها كما سمعها من جبريل عليه السلام، ثم تكون العِصْمة عن نسيان الألفاظ للأمَّة في مجموعهم بعد تبليغهم:

كما فَهِمَ ﷺ معاني القرآن، حيث ضَمِنَ الله ﷻ له ذلك بقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧، ١٨][(١)]، ونَقَلَ للعالَم كلَّ ألفاظ القرآن، وهيئةَ أدائه (الترتيل)، وكذلك نَقَلَ لهم معانيه قولاً وفعلاً وتقريرًا، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

وبمجرد نزوله فَهِمَه المخاطَبون به ابتداء من القرشيين مسلمِهم وكافرِهم، ثم ضَبَط الصَّحابَة ﷺ فَهْمَه جملة، "أما فَهْمَه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبيِّ ﷺ فيما يُشْكِل عليهم فَهْمُه"[(٢)].

(١) راجع تفصيل ذلك في كتاب: تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم (ص: ١١٣).

(٢) انظر: التفسير والمفسِّرون (١/ ٣٨).

المرحلة الثالثة يستخدم العرب في كلامهم أساليبَهم المُعتادة مثل: الحقيقة والمَجاز، والتصريح والكناية، والإيجاز والإطناب، والبديع اللغوي بأصنافه، والتَّشبيه، وغيرها من علوم البيان والمعاني والبديع، وهي تَفْتَقر إلى عِلْمَيِ النحو والصَّرْف، والقرآن الكريم جاء على حسب هذه الأساليب العربية:

إلا أنه فَتَنَهم باستعمالها استعمالاً يَفُوق بلاغتهم من حيث البناء اللفظي، ومن حيث التصوير المعنوي، فلم يَجْد عندها معارضوه شيئًا يعارضونه به إلا أنْ وصفوه وصفًا محسوبًا له لا عليه، وهو قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:٢٤].

المرحلة الرابعة: نشأ علم التفسير القَوْلي عند احتياج النَّاس لمعرفة معنى قرآني، ونشأ معه علم أصول التفسير؛ إذ استبانت منذ العصر الأول مصادرُ التفسير الأساسيَّة، (ومنها: القرآن الكريم، والنبيُّ ﷺ، واللغة العربية):

وفي ذلك قال الله -تعالى ذكره-: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، فلما قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ احتمل ذلك أن يبيِّن ﷺ لهم اللفظ، لكنه -تعالى مَجْدُه- لما أَتْبَع ذلك قولَه: ﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ فَهِمنا أنه أراد المعنى أيضًا، فإمَّا أن يبيِّنه باللفظ القرآني مباشرة، وإما أن يبيِّن معنى اللفظ القرآني عند الحاجة لبيانه بلفظه الشريف ﷺ، أو فَعْله المُمَجَّد المُنيف ﷺ، وقال النبيُّ ﷺ: «ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شِفاء العِيِّ السؤال»[1]، وقد قال هذا زجرًا لمن أفتى في التيمُّم ما ليس له به علم؛ إما لأنه اجترأ ففسَّر آية التيمَّم على غير وجهها، ولم يضعها في موضعها،

(١) أبو داود (٣٣٦)، واللفظ له، ابن ماجه (٥٧٢)، وقد حسَّنه عدد من أهل العلم منهم الألباني.

وإمَّا لأمرٍ آخر، فعلَّمهم ﷺ أنَّ من مصادر التفسير الاجتهادَ من العالِمين المتمكِّنين في الفَهْم، ويفصِّل الله ﷻ ذلك تفصيلاً يَقْطَع قولَ كلِّ خطيبٍ، فيقول -تعالى جدُّه: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، ولَفَتَ النبيُّ ﷺ نظرهم إلى أنَّ أوَّل مصادر التفسير: القرآنُ ذاتُه، كما في بيان معنى الظلم الوارد في آية الأمن في سورة الأنعام...وهذا النصُّ جَمَعَ بين التفسير والإشارة إلى أصوله، وبالأخصِّ إحضار السِّياق عن ترجيح معنى على آخر.

تطوُّر الصَّنعة التَّفسيريَّة عبر القرون:

ونذكر هنا لمحات سريعة عن التفسير عبر القرون بدءًا بالتفسير في العهد النبوي وحتى القرن الرابع عشر الهجري:

أولًا: التَّفسير النَّبويُّ للقرآن الكريم:

حفظت السُّنَّة فَهْم القرآن الكريم قولاً وتطبيقًا، كما أراد الله ﷻ، لا كما تريد الأهواء، ولا كما تستجدُّ الرغبات؛ ويُقَيَّد بهذا المصدر تفسير القرآن بالقرآن كما يُقَيَّد به تفسير القرآن باللغة.

مكانة تفسير القرآن بالسنة

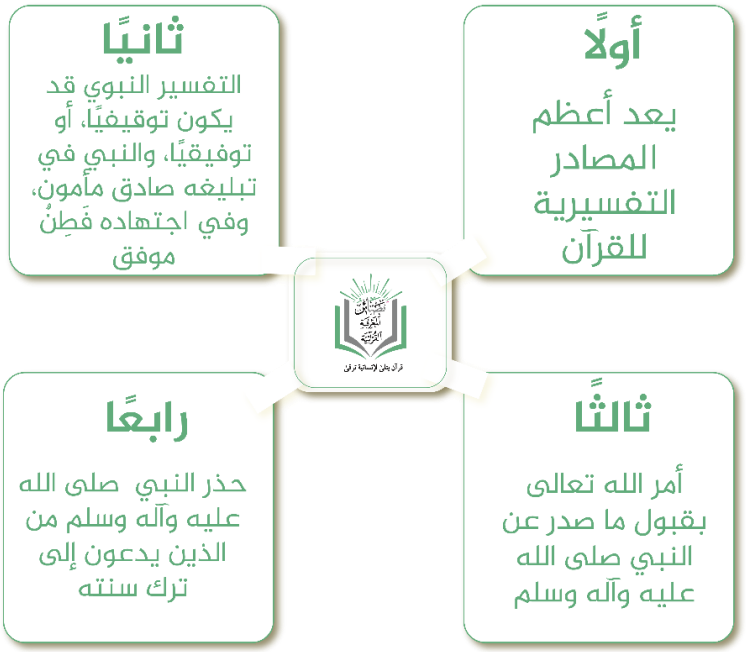

وهذه بعض صور تفسير القرآن بالقول النَّبَوي

الصُّورة الأولى: أن يفسِّر النبيُّ ﷺ القرآن بالقرآن:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ كَمَا

تَقُولُونَ. ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾: بِشِرْكٍ. أَوَ لَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]»؟[١].

الصُّورة الثانية: بيان المُجْمَل: بأن ينصَّ على تفسير آية أو لفظة[٢]:

ومن أمثلته ما ورد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «ليس المِسكين الذي تَرُدُّه التَّمرة والتَّمرتان، ولا اللُّقمة ولا اللُّقمتان، إنما المِسكين الذي يتعفَّف، واقرؤوا إن شئتم، يعني قوله: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣][٣].

الصُّورة الثالثة: توضيح المُشْكِل: بأن يُشْكِل على الصَّحابَة ﷺ آية فيوضِّحها لهم ببيان أنَّ النصَّ عامٌّ خصَّصه نصٌّ آخر، أو مُطْلَق قَيَّده نصٌّ آخر، أو غير ذلك:

١) كما في آية الظُّلم: ويصلح هذا المثال لنجعله ضِمن صُورة تخصيص العامِّ.

٢) وآية الصَّوم التي بيَّنها النبيُّ ﷺ لعَدِيِّ بن حاتم ﷺ.

الصُّورة الرابعة: أن يَرِدَ من كلامه ﷺ ما يصلح أن تفسَّر به الآية مع أنَّ الآية لم يَرِد لها ذِكْر في حديثه ﷺ، ومن أمثلته:

قال أبو هريرة ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا»، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦][٤].

الصُّورة الخامسة: يسأل النبيُّ ﷺ أصحابه عن الآية ثم يفسِّرها لهم، أو هو يُسأل:

---

(١) البخاري (٣٣٦٠).

(٢) قواعد التفسير (١/ ١٣١).

(٣) البخاري (٤٥٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٣١).

عن أنس ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسِّمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أُنْزِلت عليَّ آنفًا سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾»، ثم قال: «أتدرون ما الكَوْثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»، زَادَ ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ. وَقَالَ: «مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ» (١).

الصُّورة السادسة: يفصِّل ﷺ الخلاف الواقع بين أصحابه ﷺ في الآية، وذلك ببيان المُبْهَم في الآية، أو الإخبار عن المعنى:

مثاله ما جاء عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ قال: امْتَرى رجل من بني خُدْرة ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أُسِّس على التقوى، فقال الخُدْرِي: هو مسجد رسول الله ﷺ، وقال الآخر: هو مسجد قُبَاء، فأتيا رسول الله ﷺ في ذلك، فقال: «هو هذا -يعني مسجده-، وفي ذلك خير كثير»(٢).

الصُّورة السابعة: أحيانًا يكتفي ﷺ بمجرد قراءة الآية، وتبيِّن ملابسات الرواية معنى من معاني هذه الآية:

عن عائشة ﷺ قالت: لما نزلت آخر البقرة قرأهنَّ النبيُّ ﷺ عليهم في المسجد، ثم حَرَّمَ التِّجارة في الخَمْر(٣).

---

(١) مسلم (٨٢٤).

(٢) نسبة إلى فَدَك، قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، أو ثلاثة أيام. معجم البلدان (٤/ ٢٣٨).

(٣) البخاري (٢٠٨٤).

الصُّورة الثامنة: أن يتأوَّل ﷺ القرآن فيعمل به، وعمله به ينبئنا عن المواضع المناسبة لهذا العمل:

كان النبيُّ ﷺ وأصحابه يَعْفُون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله ﷻ، ويصبرون على الأذى. قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية [آل عمران:١٨٦]، وقال الله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]. إلى آخر الآية، وكان النبيُّ ﷺ يَتَأَوَّلُ العفوَ ما أَمَرَه الله ﷻ به، حتى أَذِنَ الله ﷻ فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ الله ﷻ به صَنادِيدَ كفَّار قريش، قال ابن أبي سَلُول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد تَوَجَّه. فبايَعوا الرَّسُول ﷺ على الإسلام، فأسلموا[1].

(1) البخاري (٤٥٦٦).

الصُّورة التاسعة: أن يذكر ﷺ ما يؤكِّد كلامه من القرآن الكريم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧][(١)].

الصُّورة العاشرة: التفسير النَّبَوي بالمثال:

ومن ذلك ما جاء من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّه عن النبيِّ ﷺ قال: «يحضر الجمعةَ ثلاثة: فرجلٌ حضرها يَلْغو، فذاك حظُّه منها، ورجل حضَرها بدُعاءٍ، فهو رجل دَعَا الله ﷻ، فإن شاء أعطاه، وإن شاء مَنَعَه، ورجل حضَرها بإنصاتٍ وسُكوت، ولم يَتَخطَّ رقبةَ مسلمٍ، ولم يؤذِ أحدًا، فهي كفَّارةٌ إلى الجُمُعة التي تليها، وزيادة ثلاثة أيام، فإن الله ﷻ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]»[(٢)]، فإنه بيَّن أنَّ النبيَّ ﷺ فسَّر الآية بصورة من الصُوَر الدَّاخلة في معناها من باب التَّمثيل.

---

(١) البخاري (٣٢٤٤)، وقال شيخنا المحقِّق عبد الله يوسف الجديع: "ذُكِرت (الصورة التاسعة) في جملة التفسير النَّبَوي، وسِيق لها حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صِفة الجَنَّة، وفي آخر الحديث: اقرؤوا إن شئتم...إلخ، وعُدَّ هذا الطَّرَف من جملة بيان النبيِّ ﷺ، وليس كذلك، بل هذه الجملة مُدْرَجة في الحديث من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، جاء ذلك صريحًا في رواية البخاري (٤٥٠١) نصُّها، قال: حدثنا علي ابن عبدالله، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة رضي الله عنه: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]".

(٢) مسند أحمد (٢ / ٢١٤) (٧٠٠٢)، قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن".

ثانيًا: التفسير في عهد الصحابة ﷺ:

اشتهر بالتفسير من الصَّحَابَة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عَبَّاس، وأبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير ﷺ، أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم: عليُّ بن أبي طالب ﷺ، والرِّوَايَة عن الثلاثة قليلة، وكأنَّ السبب في ذلك تقدُّم وفاتهم(١).

فإن سألت: ما أشهر مدارس التفسير في عهد السلف؟

الجواب: أشهر مدارس التفسير في عهد السلف ثلاث مدارس:

الأولى: مدرسة التفسير بمكة:

أستاذها هو حَبَر القرآن عبد الله بن عَبَّاس ﷺ (ت٦٨هـ)، وفيه قال المهاجرون لعمر بن الخطاب ﷺ: «ادع أبناءنا كما تدعو ابن عَبَّاس ﷺ، قال: ذاكم فتى الكُهُول إن له لسانًا سؤولًا، وقلبًا عقولًا»(٢)، وقال فيه عطاء ﷺ: «ما رأيتُ قطُّ أكرم من مجلس ابن عَبَّاس ﷺ، أكثر فقهًا، وأعظم خشية: إنَّ أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشِّعْر عنده، يُصْدِرُهم كُلَّهم من وادٍ واسع»(٣).

من أشهر رجال مدرسة التفسير في مكة من تلاميذ؟

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ عبد الله بن عباس ﷺ:

١) سعيد بن جُبَير (ت٩٥هـ) ﷺ.

---

(١) الإتقان (٢/ ٤٩٣).

(٢) المستدرك (٦٢٩٨)، وقال الذهبي: "منقطع". مختصر استدراك الحافظ الذهبي (٥/ ٢٢٢٩).

(٣) الإصابة في تمييز الصَّحَابَة (٤/ ١٤٨).

٢) مجاهد بن جَبْر (ت١٠٤هـ ساجدًا).

٣) عِكْرمة مولى ابن عَبَّاس (ت١٠٤هـ) رحمه الله.

٤) طاووس بن كَيْسَان اليمانيُّ (ت ١٠٦هـ) رحمه الله.

٥) عطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) رحمه الله .

الثانية: مدرسة التفسير بالمدينة:

أستاذها أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه (ت٣٢هـ)، المُلَقَّبُ بسَيِّدِ القُرَّاء[١]، وعُرِفَ بسَيِّدِ المسلمين[٢].

من أشهر رجال مدرسة التفسير في المدينة؟

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه :

١) أبو العالية رفيع بن مهران الرِّياحِيُّ (ت٩٠ هـ) رحمه الله.

٢) محمد بن كعب القُرَظِي (ت١١٨هـ) رحمه الله.

٣) زيد بن أسلم العَدَوي (ت ١٣٦هـ) رحمه الله.

الثالثة: مدرسة التفسير بالعراق:

وأستاذها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت٣٢هـ)... كتب بشأنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: «إني قد بعثت عمارًا رضي الله عنه أميرًا، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه مُعَلِّمًا ووزيرًا، وهما من النُّجَباء من أصحاب محمَّد ﷺ من أهل بَدْرٍ وأُحُدٍ فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد

(١) انظر مثلاً: سنن الترمذي (٣/ ٣٧٥).

(٢) انظر مثلاً: سنن البيهقي الكبرى (٦/ ١٦٨).

آثرتُكم بعبد الله ﷺ على نفسي»[1]، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: قلت لحذيفة ﷺ أخبرنا برجل قريب الهَدْيِ والسَّمْتِ من رسول الله ﷺ حتى نلزمه قال: «ما أعلم أحدًا أقرب هَدْيًا وسَمْتًا من رسول الله ﷺ حَتَّى يُوَارِيَهُ جِدَارُ بَيْتِهِ مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: وَقَالَ حُذَيْفَةُ: «لَقَدْ عَلِمَ الْمَحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللهِ وَسِيلَةً»[2].

من أشهر رجال مدرسة التفسير في المدينة؟

الجواب: أشهر رجالها من تلاميذ عبد الله بن مسعود ﷺ :

١) **عِلْقِمَة بن قيس النَّخَعِيُّ الكوفي** (ت٦١ هـ) ﷺ.

٢) **مسروق بن الأَجْدع الهَمْدَانِيُّ الكوفي العابد** (ت٦٣هـ) ﷺ.

٣) **أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد النَّخَعِيُّ** (ت٧٤ هـ) ﷺ.

٤) **أبو إسماعيل مُرَّة بن شَرَاحِيل الهَمْدَانِيُّ** (ت٧٦هـ) ﷺ.

٥) **أبو عمرو، عامر بن شَرَاحِيل الشَّعْبِيُّ الحِمْيَرِيُّ** (ت١١٠هـ) ﷺ.

٦) **أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصريُّ**، مولى الأنصار (ت١١٠هـ) ﷺ.

---

(١) المعجم الكبير (٩/ ٨٦).

(٢) مسند الطيالسي (١/ ٣٤١) برقم (٤٢٧)، قال المحقِّق (د: محمد عبد المحسن): "حديث صحيح".

ثالثًا: التفسير في عهد التابعين:

لتفسير التَّابِعين حالتان:

الحالة الأولى: إذا كان المقصود بالمصدر هنا استمدادَ الكمِّ المعرفي العلمي الذي ورد في تفسير الآية من حيثُ الواقعُ، فتفسير التَّابِعين كذلك، ويشبه نوعًا ما النَّقْل عن أهل الكتاب.

الحالة الثانية: إن كان المراد بالمصدر المَرجِعَ الذي يُحتكمُ إليه، فتفسيرُ التابعيِّ ليس بأعلى من تفسير الصَّحابيِّ، وتقدَّم أن تفسيرَ الصحابي إذا لم يكن مرفوعًا، أو له حُكْمُ الرَّفع، أو مُجْمَعًا عليه، يكون كغيره من التفسير الاجتهاديِّ مع مزيَّةٍ ترجيحيةٍ نِسبيةٍ، فيُنظَرُ في مرجِّحاتٍ أخرى تُسْنِدُه من المصادر الأصلية للتفسير، وإلا فهو لا يعدو أن يكون رأيًا، وأولى منه بهذا التابعيُّ، **إلا أن التفسير عن التَّابِعين له مكانته المتميِّزة**، حيث كانوا الجيل الذي تلقَّى عن الصَّحابَة ﷺ، وتميَّزوا بَعْدَهم بجودة فَهْمِهم، وصفاء آرائهم، وهم من أهل القرون المشهود لها بالخير.

رابعًا: التفسير في القرن الثاني الهجري:

ظلَّ التفسير كغيره من العلوم، متنقلًا بين الصدور حتى اتجهت الأذهان إلى تدوين هذه العلوم في كتب، ومنها التفسير، وذلك في مستهل القرن الثاني الهجري، فانفصل التفسير عن الحديث بعلم خاصٍّ، وإن ظلَّ علماء الحديث يذكرون ما روى فيه من أحاديث الرسول.

ومن أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

١) تفسير عبد الملك بن جريج (ت ١٤٩ هـ).

٢) تفسير سفيان الثوري (ت ١٦١هـ).

٣) تفسير يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ).

خامسًا: التفسير في القرن الثالث الهجري:

انفصل التفسير في هذه المرحلة عن كتب الحديث و قام العلماء بتدوينه في كتب مستقلَّة فوضعوا تفسير كلِّ آية من القرآن ورتَّبوه حسب ترتيب المصحف فذكروا أولًا: ما روي في تفسير سورة الفاتحة، ثم البقرة، ثم آل عمران . . هكذا إلى آخر سورة الناس فصار التفسير علمًا قائمًا بنفسه.

ومن أبرز من ألَّف في هذا القرن:

١) تفسير عبد الرزق بن همَّام الصنعاني (ت ٢١١هـ).

٢) تفسير سهل بن عبد الله التُّستري (ت ٢٨٣هـ)، وليس تامًّا لجميع الآيات القرآنية، وقد ذكر بعض الباحثين أن التُّستري لم يضع بنفسه هذا التفسير، وإن كان ما فيه من أقوال وآراء يمثِّل بصدق أقواله وآراءه خير تمثيل.

٣) كما برزت في هذه القرن كتب معاني القرآن، وفي مقدمتها: معاني القرآن للفرَّاء (ت ٢٠٧هـ).

سادسًا التفسير في القرن الرابع الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

كتاب (جامع البيان) للإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) وهذا الكتاب حُقَّ لصاحبه أن يُلقَّب بشيخ المفسرين، وهو كتاب في التفسير اللغوي، والتفسير النحوي، والتفسير الفقهي والتفسير البياني، والتفسير الإجمالي والتفسير التفصيلي، والتفسير بالمأثور، والتفسير

بالدراية، وهو من أعظم الكتب، واعتمد بشي لا بأس به على كتاب معاني القرآن للفرَّاء.

سابعًا: التفسير في القرن الخامس الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

١) (الهداية إلى بلوغ النهاية) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ).

٢) (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعوم التنزيل) لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٤٠هـ).

٣) (النُّكَت والعيون) لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، وهو من أبرز كتب التفسير في هذا القرن.

٤) وفي هذا القرن نشأ علم مكمِّل لعلم معاني القرآن وهو علم مفردات القرآن، على يد أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف، بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) كما قيل، والصحيح أنه توفي قبل ذلك.

وله علاقة بكتاب مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وإن كان غلب عليه النظر اللغوي المحض دون الرجوع إلى القرآن، ولكنه يستدل بالقرآن.

ثامنًا: التفسير في القرن السادس الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

١) كتاب التفسير للإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ).

٢) التيسير في التفسير للإمام أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (ت ٥٣٧هـ)، وهو غير النسفي المعروف الذي من علماء القرن الثامن.

٣) الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، وقيل إنه تأثر بالإمام الجرجاني قبله في كتابه (درج الدرر في التفسير)، وبعضهم قال إنه تأثر بالإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، لكن الإمام الزمخشري مدرسة مستقلة، وبعضهم إنه تأثر تأثرًا كبيرًا بالإمام الحاكم الجُشَمي (ت ٤٩٤هـ) صاحب كتاب عيون التفسير، ويظهر أن الإمام الزمخشري كان مستقلًّا بذاته وكتابه من كتب الفاصلة في التفسير.

٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ).

تاسعًا: التفسير في القرن السابع الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

١) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت ٦٠٦ هـ)، وهو من المؤثرين في الصنعة التفسيرية.

٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، وهو متأثر بالكشاف إلا أنه نأى عما فيه من اعتزاليات.

عاشرًا: التفسير في القرن الثامن الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

١) اللفتات التفسيرية لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، والتي جمع بعضهم في كتاب مثل: (تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء)، وله استنباطات دقيقة وعميقة، وله مقدمة في أصول التفسير، ولم يسمِّها بهذا الاسم.

٢) تفسير ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، ولم يكتب كتابًا مستقلًّا في التفسير.

٣) التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جُزَي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ).

٤) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، وهو أحد المعالم الفاصلة في الصنعة التفسيرية.

حادي عشر: التفسير في القرن التاسع الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ثم أصدر كتابًا آخر سماه (دلالة البرهان القويم في تفسير القرآن الكريم)، وزعم أن كتاب مختصر لنظم الدرر، وفي الحقيقة هو كتاب مستقل بذاته، ووصل في إلى سورة المائدة، وكتابه من الكتب الفاصلة في الصنعة التفسيرية.

ثاني عشر: التفسير في القرن العاشر الهجري:

من أبرز كتب التفسير في هذا القرن:

الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).

ثالث عشر: التفسير فيما بعد القرن العاشر الهجري:

ثم تتابعت القرون، فمن أبرز كتب التفسير:

١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشَّوكانيِّ اليمنيِّ (ت ١٢٥٠هـ).

٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد القلمونيِّ الحسينيِّ (ت ١٣٥٤هـ)، ولم يكمله، بل وصل فيه إلى قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

٣) تفسير (نظام القرآن) لعبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ)، وهو لم يفسر إلا شيئًا يسيرًا، ولكن منهجيته من أعظم العلامات المميزة في التاريخ التفسيري.

٤) في ظلال القرآن لسيد قطب (ت ١٣٨٦هـ)، وبعضهم يقول هو مجرد وصف أدبي فقط، ومن قال ذلك لم يتذوق علم التفسير، فهو ضمن الكتب المتميزة.

٥) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ).

المرحلة الخامسة: الخُطُوات الأُوْلى للتَّصنيف والتدوين كانت في أواخر عهد بني أمية وأول عهد العبَّاسيين:

حيث دُوِّنت السُّنَّة النَّبويَّة، وهي تَضُمُّ بين جنباتها تفسيرَ القرآن الكريم، والأصولَ التطبيقيَّةَ لتفسيره؛ إذ كانوا ربَّما ذكروا معنى الآية مُبيِّنين سبيلَ اختيارهم لهذا المعنى، فذلك أشبه بالإشارة إلى الأصول التي تُبْنَى عليها الفروع.

المرحلة السادسة: فَصْل العلوم بعضِها عن بعض، وبدء مرحلة التَّخصُّص لكل فنٍّ من فنون العلوم:

فأصبح للحديث علماؤه ومُصنَّفاته، وللتفسير علماؤه ومُصنَّفاته، إلا أنَّ أهل العلم لم يُفْرِدوا أصول التفسير بالتأليف تحت هذا المصطلح: (أصول التفسير) كما أفردوا أصول الفقه، ومصطلح الحديث، وسبب ذلك: أن العلومَ جميعَها تتعلَّق بأصول التفسير، فالحديث يُعَدُّ أصلاً من أصول التفسير قوليًّا وعمليًّا، والفقه نشأ عن فَهْم القرآن، فقواعد استنباطِه من القرآن تُعَدُّ أصولاً للتفسير، فهي الأساس في فَهْم التفسير، ولعل هذا برهانُ مَنْ زعم أنَّ التفسير نهايةُ العلوم، وكلامه يستحقُّ التفصيل، ولأجل ذلك أصررتُ على أنَّ رسالة الشَّافِعي لم تَكُن إلا أصولًا للتفسير، لكنَّ الفقهاء والأصوليين ادَّعوها خالصة لهم في زَعْمهم لتعلُّق كثير من أمثلتها بعلم الفقه الاصطلاحي، ثمَّ حاول كثرة من أهل العلم تَدْوين أصولِ التفسير من خلال كتب علوم القرآن، ومنهم مَنْ جعل علم الأصول في مقدِّمات تفسيره، دون النصِّ على مصطلح أصول للتفسير، وعَدَمُ إفراد هذا العلم بهذا المصطلحِ دعا العلَّامة سليمان بن عبد القوي الطُّوْفِيُّ (ت٧١٦هـ) رحمه الله لأن يقول: "إنَّه لم يَزَلْ يَتَلَجْلَجُ في صدري إشكال علم التفسير وما أَطْبَق عليه أصحاب التفاسير، ولم أَرَ أحدًا منهم كَشَفَه في ما أَلَّفه، ولا نَحَّاه في ما نَحَّاه، فتقاضَتْنِي النَّفْس الطالِبة للتَّحقيق النَّاكِبة عن جَمْر الطريق لوَضْع قانون يعوَّل عليه، ويُصَار في هذا الفنِّ إليه"[(١)].

من أوَّل من صنَّف في أصول التفسير وأصول الفقه؟ وما العلاقة بينهما؟

(١) الإكسير في قواعد التفسير (ص: ٢٧).

المرحلة السابعة: يمكن أن يُشار هنا إلى الإمام محمَّدِ بن إدريس الشَّافِعِيِّ (ت٢٠٤هـ) ﵀ باعتباره أوَّلَ مَنْ كَتَب في أصول التفسير بمعناه المُعاصر:

إذ وَضَع كتاب (الرِّسالة) في الأصل في معاني القرآن الكريم، فهي أوَّلُ إخراجٍ علميٍّ في العِلْمَيْن: أصول التفسير وأصول الفقه، حيث تحدَّث فيها عن الكتاب والسُّنَّة، وعن مراتب البيان، كما بيَّن فيها النَّاسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، وهذه كلُّها علومٌ مشتركة بين أصول الفقه وأصول التفسير، ولم يَسْبِق الشَّافِعي أحدٌ إلى ذلك، كما قال الإمام الجُوَيْنِيُّ ﵀ في شرح الرِّسالة[1]، ويجوز لنا أن ندَّعي أنَّ الشَّافِعي ألَّف هذا الكتابَ في أصول التفسير، وإنما دَخَل علم أصول الفقه تبعًا؛ إذ من المعلوم أن الشَّافِعي ألَّف ذاك الكتاب بناء على طلب إمام الدُّنيَا عبد الرحمن بن مَهْديٍّ ﵀ عندما سأله أن يُؤَلِّف له كتابًا في معاني القرآن[2].

(١) البحر المحيط للزركشي (١/ ٧).

(٢) لي بحث عن: معالم التَّجديد والنُّبُوغ عند الإمام الشافعي في التفسير. نُشِر في مجلَّة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/ جامعة قطر، العدد (٣٠)، ٢٠١٢م.

المرحلة الثامنة: ظهور أصول التفسير في أشكال متعدِّدة غير مستقلَّة بذاتها:

ما الأشكال التي ظَهَر فيها علم أصول التفسير في أوَّل الأمر؟

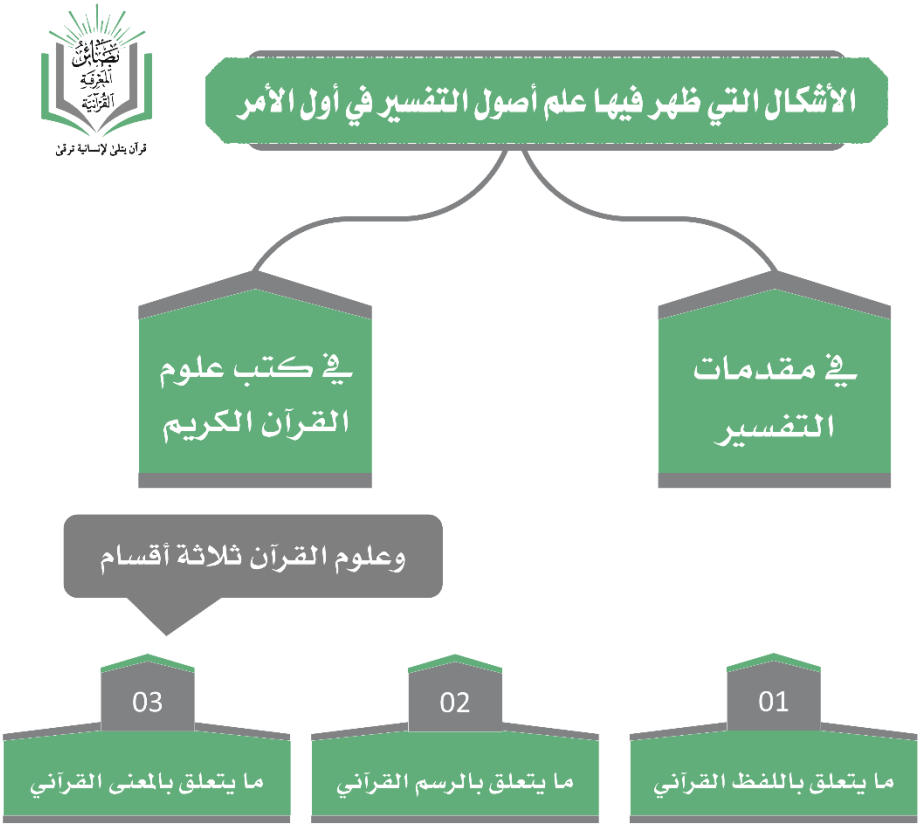

ظهر علم أصول التفسير في عدَّة أشكال منها:

المورد الأول: في مقدِّمات التفاسير التي تشكِّل مادةً عظيمة رائعة في هذا الفنِّ كمقدِّمة الطَّبَرِي رحمه الله.

المورد الثاني: في كتب علوم القرآن الكريم، حيث شكَّلت المادة الأساسيَّة لأصول التفسير، إذ كان فَهْمُ القرآن المجيد أحدَ ثلاثة أقسام تكوَّنت منها كتب علوم القرآن. **فعلوم القرآن ثلاثة أقسام:**

القِسم الأول: ما يتعلَّق باللَّفظ القرآنيِّ: كمباحث التحمُّل القرآنيِّ، وجَمْعِ القرآن، ونحوِها.

القِسم الثاني: ما يتعلَّق بالرَّسم القرآنيِّ.

القِسم الثالث: ما يتعلَّق بالمعنى القرآنيِّ: ما تعلَّق بالتفسير، كأسباب النزول (السِّياق التاريخي للقرآن الكريم)، وعِلْم الاتِّصال القرآني (السِّياق الموضعي)، ومباحث الدلالات، ويدخل فيه بصورةٍ ما: نزول القرآن، كالمكِّي والمدني.

ما العِلاقة بين أصول التفسير وعلوم القرآن؟

العلاقة بين أصول التفسير وعلوم القرآن علاقة تداخُلٍ، فقد كان علم أصول التفسير جُزءًا عظيمًا من علوم القرآن، فكان المُؤلِّفون في علوم القرآن يَمْزجون بين علوم التفسير وأصوله وعلوم القرآن، ولأجل هذا الامتزاج ألَّف السُّيُوطِيُّ كتابين في علوم القرآن:

الأول منهما سمَّاه: (التَّحْبِيرُ فِي عُلُومِ التَّفْسِيرِ)، فضمَّنه أنواع علوم القرآن التي ذكرها جلال الدين البُلْقِينِيُّ (ت٨٢٤ هـ) في كتابه: (مواقع العلوم من مواقع النجوم) مَعَ زِيَادَةٍ مِثْلِهَا وفَوَائِدَ سَمَحَتِ الْقَرِيحَةُ بِنَقْلِهَا[1].

الثاني: ثُمَّ لمَّا رأى كتاب البرهان للزَّرْكَشِيِّ ألَّف كتابه الكبير:(الإتقان في علوم القرآن)، وجَعَله مُقَدِّمَةً لتفسيره: (مَجْمع الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَع الْبَدْرَيْنِ الْجَامِعِ لِتَحْرِيرِ الرِّوَايَةِ وَتَقْرِيرِ

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٨).

الدِّرَايَةِ)، وهذا يدُلُّ على أنَّ أصول التفسير كانت جزءًا من علوم القرآن، ثُمَّ انفَصَل هذا الفنُّ عن علوم القرآن، واستقلَّ بالتأليف.

المصطلحات التي بَرَزَت لتشير إلى علم التفسير، أو شيء منه:

ما المصطلحات التي بَرَزَت لتشير إلى علم التفسير في القرون الأولى؟

بَرَزَت في علم التفسير عدَّة مصطلحات في القرون الأربعة الأولى، أهمها:

١) **عِلْم التفسير**: واصطلح الكاتبون فيه على إدراج كل ما تعلَّق بالآية من معنى، أو حُكْم مُسْتَنبط، أو سبب نزول، أو قصَّة، ولو لم تكن متعلقة بالمعنى، وصَنيع أئمة المحدِّثين كالبخاري ومسلم في كتاب التفسير من كتبهم يبيِّن ذلك، فمصطلح التفسير يَتَّسِع عندهم لذلك كلِّه، وعلى ذلك جرى من أَلَّف في التفسير فيما بعد في غالب المصنَّفات التَّفسيريَّة، وإذا كان الشَّوْكانِي قد نَقَد ابن كثير وغيرَه من المفسِّرين في استطرادهم في سورة الإسراء، فقال عنه: "واعلم أنه قد أطال كثيرٌ من المفسِّرين كابن كثير والسُّيُوطِي وغيرِهما في هذا الموضع بذِكْر الأحاديث الواردة في الإسراء على اختلاف ألفاظها، وليس في ذلك كثيرُ فائدة، فهي معروفة في موضعها من كتب الحديث، وهكذا أطالوا بذِكْر فضائل المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهو مبحث آخر، والمقصود في كتب التفسير ما يتعلَّق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذِكْرِ أسباب النُّزُول، وبيانِ ما يؤخذ منه من المسائل الشَّرعِيَّة، وما عدا ذلك فهو فَضْلَة، لا تدعو إليه حاجة"[(١)]...فإن المُطالع لكتابه: (فتح القدير) في التفسير يَجِدُه اسْتَطرد أكثرَ من استطراد ابن كثير في معظم تفسيره؛ سَرْدًا للأحاديث والروايات، أو استنباطًا للأحكام، أو ذِكْرًا للقراءات، أو تفريعًا لمسائل الفقه، ونَقَل صاحبُ (أبجد العلوم) عن بعض الفضلاء، قال: "عِلْم التفسير لا يَتِمُّ إلا بأربعة وعشرين عِلْمًا[(٢)]، بل توسَّع المتأخرون كالسُّيُوطِيِّ، فجعلوا كلَّ علوم القرآن من فروع علوم التفسير، كما في كتابه: (التحبير في علوم التفسير).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢٩٨).

(١) أبجد العلوم (٢/ ٦).

٢) **عِلْم معاني القرآن**: وتَجِد كُتُبَه تتضمَّن التفسيرَ اللغويَّ والإعرابي العام: ككِتاب معاني القرآن للفَرَّاء (ت٢٠٧هـ)، ولأبي جعفر النَّحَّاس (ت٣٣٨هـ).

٣) **عِلْم غريب القرآن**: ويأتي مبحث خاصٌّ به في القسم الثالث إن شاء الله تعالى.

٤) علم مشكل القرآن: ككِتاب ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

٥) **عِلْم إعراب القرآن**: كـ(إعراب ثلاثين سورة من القرآن) لابن خالَوَيه (ت ٣٧٠هـ).

٦) **عِلْم أحكام القرآن**: ككِتاب (أحكام القرآن) للقاضي إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت٢٨٢هـ)، ومثله لأحمد بن محمد بن سلامة الطَّحَّاوي (ت٣٢١هـ)، و(أحكام القرآن) للجَصَّاص (ت ٣٧٠هـ).

٧) **عِلْم مجاز القرآن: كمجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ).**

المرحلة التاسعة: التأليف المستقلُّ في أصول التفسير وقواعده:

أهمُّ المؤلَّفات في أصول التفسير:

اذكر بعض المؤلَّفات في أصول التفسير؟

يمكن تصنيف المؤلَّفات في هذا العلم الشريف إلى ستِّ مجموعات:

المجموعة الأولى: كُتُب مصرِّحة بأنها في أصول التفسير: ومنها:

١) (الإكسير في قواعد علم التفسير): لسليمان بن عبد القويِّ الحَنْبليِّ، المعروف بالطُّوفِيِّ (ت: ٧١٦هـ)، وقال في سبب تأليفه هذا الكتاب: "فإنَّه لم يَزْلْ يَتَلَجْلَجُ في صدري إشكال علمِ التفسيرِ، وما أَطْبَق عليه أصحاب التفاسير، ولم أَرَ أحدًا منهم كَشَفَه في ما أَلَّفه، ولا نَحَّاه في ما نَحَّاه، فتقاضَتْنِي النَّفْس الطالِبة للتَّحقيق النَّاكِبة عن جَمْر الطريق لوَضْع قانون يعوَّل عليه، ويُصَار في هذا الفنِّ إليه، فوضعتُ لذلك صَدرَ هذا الكتاب، مُرْدِفًا له بقواعدَ نافعةٍ في علم الكتابِ، وسمَّيتُه: (الإكسير في قواعد علم التفسير)، فمن أَلَّفَ على هذا الوضعِ تفسيرًا، صار في هذا العلمِ أوَّلاً وإن كان أخيرًا، ولم أضع هذا القانون لمن يَجْمُدُ عند الأقوالِ، ويَصْمُدُ لكلِّ من أطلق لسانَه وقال، بل وضعتُه لمن لا يغترُّ بالمُحالِ، وعَرَف الرِّجالَ بالحقِّ، لا الحقَّ بالرِّجالِ"[(١)].

٢) (مُقَدِّمة في أصول التفسير): لتقيِّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِية (ت٧٢٨هـ): وهذا المؤلَّف يتضمَّن كلامًا نفيسًا جدًّا، كما وصفه الإمام السُّيُوطِي في الإتقَان[(٢)]على صِغر حجم هذه المقدِّمة، وضمَّن أغلبَها ابنُ كثير في مقدِّمة تفسيره، وشرحها عددٌ من المُعاصرين. وهذا الاسم: "مقدِّمة في أصول التفسير" ليس من وَضْع ابن تَيْمِيَّةَ، بل هو مِنْ وَضْع مفتي الحنابلة بدِمَشق جميل الشَّطِّي الذي طَبَع الكتاب سنة

(١) الإكسير في قواعد التفسير (ص: ٢٧)، والعجيب أن دار الأوزاعي نشرته باسم: (الإكسير في علم التفسير)، رغم أن المؤلِّف صرَّح في المقدِّمة أنه في قواعد التفسير.

(٢) انظر: الإتقان (٢/ ٤٧٢).

(١٣٥٥هـ)، أما ابن تَيْمِيَّةَ فقد أشار في بداية المقدِّمة إلى أنه كَتَبها بناء على طلب بعض إخوانه لتتضمَّن قواعدَ كليَّةً تعين على فَهْم القرآن ومعرفة تفسيره، فأشار بذلك إلى أنه وَضَع كلماتِ هذه المقدِّمة لتتضمَّن أهمَّ أصول التفسير، ومناهجَ المفسِّرين.

٣) أشار ابن القَيِّمِ (ت٧٥١هـ) إلى أنه كَتَب في أصول التفسير، وذلك عند قوله في كتابه: (جَلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمَّد ﷺ خير الأنام): "والرَّسُول ﷺ يفسِّر اللَّفظة بلازِمِها وجزءِ معناها، كتفسير الرَّيب بالشكِّ، والشكُّ جزءُ مسمَّى الرَّيب... ونظائر ذلك كثيرة قد ذكرناها في أصول التفسير"[(١)]...فهل له رسالة مستقلَّة في أصول التفسير؟ يُحْتَمل، ولكنها لم تَصِلْ إلينا، ويُحْتَمل أنَّ مراده أنَّه قد ذَكَر ذلك في كُتُبه التي أشارت إلى بعض قواعد التفسير وأصوله، مثل كتابه: (الفوائد المَشُوق إلى علوم القرآن)[(٢)].

---

(١) جلاء الأفهام (ص: ١٥٩).

(٢) قال شيخنا الشيخ المحقِّق عبد الله يوسف الجديع في هذا الموضع: "جاء ذكر كتاب " الفوائد المَشُوق لعلوم القرآن" مَنْسُوبًا لابن القَيِّمِ ﷺ، وهذا الكتاب في التحقيق لا تصحُّ نسبته لابن القَيِّمِ ﷺ، وقد كنتُ لاحظتُ منذ سنين طويلة تزيد عن ربع قرن أنَّ أسلوب هذا الكتاب يجافي منطقَ ابن القَيِّمِ ومفرداته وطبيعة إنشائه، فوقع في نفسي منه. ولم أجد من عزاه لابن القَيِّمِ ﷺ، ووجدتُ وقتَها من العلامات على كونه ليس له: ما ضمَّنه من القول بالمجاز، ومعلوم بوضوح تامٍّ إنكار ابن القَيِّمِ للمَجاز، بل بالَغ حتى نَعَتَه بالطاغوت، في كتاب " الصواعق المُرْسلة"، ثم وجدتُ من بعدُ مَنْ وافق ما كنتُ صرتُ إليه من عدم صحَّة نسبة هذا الكتاب لابن القَيِّمِ ﷺ، كالعلَّامة المحقِّق بكر أبو زيد، وعنايته بابن القَيِّمِ متميِّزة منذ عهد بعيد. وكذا رأيت مثلَ ذلك لغيره أيضًا...". ينظر: كتاب "ابن القَيِّمِ الجوزية: حياته آثاره موارده"، لبكر أبو زيد (ص: ٢٩١ـ ٢٩٢). وذكر المحقِّق الدكتور زكريا سعيد الأدلَّة على أن هذا الكتاب لا تصحُّ نسبته إلى ابن القَيِّمِ ﷺ، مؤكِّدًا نسبته إلى ابن النقيب أبي عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن جمال الدين البَلخيِّ المَقْدسيِّ الحنفيِّ (ت ٦٩٨ هـ).

٤) (الفوز الكبير في أصول التفسير): لولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدِّهْلَوي (ت١١٧٦هـ).

٥) (العون الكبير شرح الفوز الكبير): لسعيد أحمد بن محمد يوسف البالَنْبُوْرِي (ت٢٠٢٠م): وهو شرح الكتاب السابق.

٦) (الإكسير في أصول التفسير): لمحمد صدِّيق خان بن السيد حسن الحُسينيِّ القَنُّوجيِّ الهِنديِّ المحدِّث، أمير مملكة بُوْبَال (ت ١٣٠٧هـ).

٧) (أصول التفسير وقواعده): لخالد العَك.

٨) (بحوث في أصول التفسير): لمحمد لطفي الصَّبَّاغ.

٩) (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي.

١٠) (التيسير في أصول التفسير): للدكتور عبد الحق القاضي.

١١) (فصول في أصول التفسير): للدكتور مساعد الطيَّار، ثم أصدر: (المُحَرَّر في أصول التفسير).

المجموعة الثانية: كُتُب في قواعد التفسير:

يكاد أن يكون مصطلح (قواعد التفسير) مرادفًا لمصطلح (أصول التفسير)، ومن الكتب التي أُلِّفت بهذا الاسم:

١) (التيسير في قواعد علم التفسير): لمحمد بن سليمان الكافِيجِي (ت ٨٧٩هـ).

٢) (القواعد الحِسان لتفسير القرآن): للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي (ت١٣٧٦هـ).

٣) (قواعد التفسير جمعًا ودراسة): للدكتور خالد بن عثمان السَّبت، وهو كتابٌ قيِّم يعيبه طولُ النُّقُول، دون المناقشة والنَّقْد لبعض الآراء التي ينبغي فيها مثل ذلك.

٤) (قواعد الترجيح عند المفسِّرين): للشيخ خالد الحربي، ويُؤْخَذ عليه عَدَمُ التعمُّق في بعض العلوم التي تشكِّل مصدرًا لهذه القواعد كعلم القراءات؛ مما يؤدِّي إلى استنتاج قواعدَ في محلِّ نظر.

المجموعة الثالثة: كُتُب تتكلم عن أصول التفسير أو تشير إلى شيء منها، وعناوينها عامَّة، ومنها:

١) كتاب (جواهر القرآن): لأبي حامد الغَزاليِّ (ت٥٠٥هـ): وهو من أوائل المحاولات لتأسيس كتاب مستقلٍّ في أصول التفسير، وذكر عنه تلميذه ابن العربيِّ أنه كَتَب في قانون التأويل[١].

٢) كتاب (قانون التأويل): للقاضي أبي بكر بن العربي، والكتاب محاولة تأسيسيَّة لبيان كيفية فَهْم القرآن الكريم، وإن كان ينحو نحو النِّقاش العَقَديِّ.

٣) (الإرشاد إلى طريق المعرفة لصحيح التفسير)، وهو جزء من كتاب: (إيثار الحق على الخلق): لمحمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ).

٤) كتاب (التفسير والمفسِّرون) للدكتور محمد حسين الذهبي (ت١٩٧٧م)، وهو كتابٌ جامع بين منهجين: منهج أصول التفسير، ومنهج مناهج المفسِّرين...وهو كتابٌ قيِّمٌ.

٥) (النبأ العظيم)، و(مدخل إلى القرآن الكريم): للدكتور محمد عبد الله دراز(ت١٩٥٨م)، والكتابان من الكتب النَّفِيسة التي تشكِّل مدخلاً مهمًّا لمفسِّر القرآن الكريم.

---

(١) قال الشيخ المحقِّق عبد الله يوسف الجديع في هذا الموضع: " جاء ذكر" قانون التأويل" للغزالي نقلًا عن ابن العربي في جملة ما أَلَّف في (قواعد التفسير)، والواقع أن هذا الكتاب رسالة صغيرة الحجم للغزالي مطبوعة يتحدث فيها عن التأويل بمصطلحه الكلامي الأصولي، وليست لها علاقة ظاهرة بقواعد التفسير....".

٦) (المدخل إلى الدراسات القُرْآنيَّة): للشيخ أبي الحسن النَّدويِّ (ت١٩٩٩م)، وهو من الكتب النَّفِيسة التي تضمَّنت فوائدَ مختلفة في فكرتها وأسلوبها.

٧) (تطوُّر تفسير القرآن (قراءة جديدة): للدكتور محسن عبد الحميد، وهو كتاب قيِّمٌ إلا أنه في مناهج المفسِّرين مع تضمَّنه أصولاً في التفسير، ويتميَّز بحسٍّ نقديٍّ عالٍ، وفوائد مهمَّة، وإن كان رجوعُه للمصادر الأصلية في أسس العلوم يعتريه الضَّعْف.

المجموعة الرابعة: كُتُب علوم القرآن:

فمعظم أصول التفسير مستخرجة من كتب علوم القرآن.. ومن أشهرها:

١) (الرغيب في علم القرآن) (لعله الترغيب): لأبي عبد الله الواقِديِّ (ت ٢٠٧هـ).

٢) (عجائب علوم القرآن): لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباريِّ (ت ٣٢٨ هـ).

٣) (المختزن في علوم القرآن): لأبي الحسن الأشعريِّ (ت ٣٣٤ هـ).

٤) (الاستغناء في علوم القرآن): لأبي بكر محمد بن علي بن أحمد الأُدْفُويِّ (ت ٣٨٨هـ).

٥) (البرهان في علوم القرآن): لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد الحُوفيِّ (ت ٤٣٠هـ)، وهو كتاب في التفسير توسَّع فيه بذكر علوم القرآن المُتَعَلِّقة بلفظ الآيات ومعناها.

٦) (البيان الجامع لعلوم القرآن): لأبي داود سليمان بن نجاح المقرئ (ت٤٩٦هـ).

٧) (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن)، و(المجتبى في علوم القرآن): وكلاهما لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجَوزيِّ (ت ٥٩٧هـ).

٨) (البرهان في علوم القرآن): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الزَّرْكَشِي (ت٧٩٤هـ).

٩) (الإتقان في علوم القرآن): لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيُوطِي (ت٩١١هـ).

١٠) الكتاب الموسوعة: (الزيادة والإحسان في علوم القرآن): لمحمد بن أحمد بن عقيلة المكِّيِّ(ت١١٥٠هـ).

المجموعة الخامسة: مقدِّمات المفسِّرين في كتب التفسير:

فقد أشار المحقِّقون من المفسِّرين في مقدِّمات تفاسيرهم إلى أصول تفسيريَّة مثل:

١) مقدِّمة تفسير (جامع البيان عن تأويل القرآن): لأبي جعفر محمد بن جرير الطَّبَرِي(ت٣١٠هـ).

٢) مقدِّمة (النكت والعيون): لأبي الحسن علي بن محمد الماوَرْدِيِّ (ت٤٥٠هـ).

٣) مقدِّمة (المُحَرَّر الوجيز): لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيَّة الأندلسيِّ (ت ٥٤٦هـ).

٤) مقدِّمة (الجامع لأحكام القرآن): لشمس الدين محمد بن أحمد القُرْطُبِيِّ (ت ٦٧١هـ).

٥) مقدِّمة (التسهيل): لأبي بكر أحمد بن أبي القاسم المعروف بابن جُزَيٍّ الكلبيِّ الأندلسيِّ (ت ٧٤١هـ).

٦) مقدِّمة (تفسير القرآن العظيم): لعماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ الدِّمشقيِّ (ت٧٧٤هـ).

٧) مقدِّمة تفسير (روح المعاني): لأبي الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلُوْسِيِّ (ت١٢٧٠هـ).

٨) مقدِّمة تفسير جمال الدين محمد بن محمد سعيد القاسميِّ (ت ١٣٣٢هـ).

٩) مقدِّمة (التحرير والتنوير): لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، وهي من أكثر المقدِّمات تحقيقًا وتنقيحًا في أصول التفسير.

١٠) مقدِّمة (أضواء البيان): لمحمد الأمين بن محمد المختار الشِّنقيطيِّ (ت١٣٩٣هـ).

المجموعة السادسة: كُتُب التفسير ذاتها:

فنجد قواعدَ التفسير وأصولَه مبثوثةً في كُتُب المفسِّرين كالتفاسير المشار إليها سابقًا، ويُضَاف إليها من مهمَّات مؤلَّفات التفسير: تفسير (فتح القدير) لقاضي القضاة محمد بن علي الشَّوْكانِيِّ(ت١٢٥٠هـ).

فهرس الموضوعات

نَشْأة علم التفسير وأصوله ٣
المرحلة الأولى: نزل القرآن الكريم على نبيٍّ أميٍّ، وقوم أمِّيِّين في غالبهم ٤
المرحلة الثانية: حفظ النبي ﷺ ألفاظ القرآن حتى يبلِّغَها أمَّته ٥
المرحلة الثالثة يستخدم العرب في كلامهم أساليبَهم المُعتادة ٦
المرحلة الرابعة: نشأ علم التفسير القَوْلي عند احتياج النَّاس لمعرفة معنى قرآني ٦
تطوُّر الصَّنعة التَّفسيريَّة عبر القرون: ٧
أولًا: التَّفسير النَّبويُّ للقرآن الكريم ٧
وهذه بعض صور تفسير القرآن بالقول النَّبَوي ٩
الصُّورة الأولى: أن يفسِّر النبيُّ ﷺ القرآن بالقرآن: ٩
الصُّورة الثانية: بيان المُجْمَل: بأن ينصَّ على تفسير آية أو لفظة: ١٠
الصُّورة الثالثة: توضيح المُشْكِل ١٠
الصُّورة الرابعة: أن يَرِدَ من كلامه ﷺ ما يصلح أن تفسَّر به الآية مع أنَّ الآية لم يَرِد لها ذِكْر في حديثه ﷺ ١٠
الصُّورة الخامسة: يسأل النبيُّ ﷺ أصحابه عن الآية ثم يفسِّرها لهم، أو هو يُسأل: ١٠
الصُّورة السادسة: يفصِّل ﷺ الخلاف الواقع بين أصحابه ﷺ في الآية ١١
الصُّورة السابعة: أحيانًا يكتفي ﷺ بمجرد قراءة الآية، وتبيِّن ملابسات الرواية معنى من معاني هذه الآية ١١
الصُّورة الثامنة: أن يتأوَّل ﷺ القرآن فيعمل به، وعمله به ينبئنا عن المواضع المناسبة لهذا العمل ١٢
الصُّورة التاسعة: أن يذكر ﷺ ما يؤكِّد كلامه من القرآن الكريم ١٣
الصُّورة العاشرة: التفسير النَّبَوي بالمثال: ١٣
ثانيًا: التفسير في عهد الصحابة ﷺ: ١٤
الأولى: مدرسة التفسير بمكة: ١٤
الثانية: مدرسة التفسير بالمدينة: ١٥

الثالثة: مدرسة التفسير بالعراق:..... ١٥
ثالثًا: التفسير في عهد التابعين:..... ١٧
رابعًا: التفسير في القرن الثاني الهجري..... ١٧
خامسًا: التفسير في القرن الثالث الهجري ١٨
سادسًا التفسير في القرن الرابع الهجري ١٨
سابعًا: التفسير في القرن الخامس الهجري ١٩
ثامنًا: التفسير في القرن السادس الهجري..... ١٩
تاسعًا: التفسير في القرن السابع الهجري ٢٠
عاشرًا: التفسير في القرن الثامن الهجري ٢٠
حادي عشر: التفسير في القرن التاسع الهجري ٢١
ثاني عشر: التفسير في القرن العاشر الهجري..... ٢١
ثالث عشر: التفسير فيما بعد القرن العاشر الهجري..... ٢١
المرحلة الخامسة: الخُطُوات الأُوْلى للتَّصنيف والتدوين كانت في أواخر عهد بني أمية **٢٢**
المرحلة السادسة: فَصْل العلوم بعضِها عن بعض، وبدء مرحلة التَّخصُّص لكل فنٍّ من فنون العلوم..... **٢٣**
المرحلة السابعة: يعد الإمام الشَّافِعي ﷺ أوَّلَ مَنْ كَتَب في أصول التفسير بمعناه المُعاصر **٢٤**
المرحلة الثامنة: ظهور أصول التفسير في أشكال متعدِّدة غير مستقلَّة بذاتها: **٢٥**
المصطلحات التي بَرَزَت لتشير إلى علم التفسير، أو شيء منه: ٢٧
المرحلة التاسعة: التأليف المستقلُّ في أصول التفسير وقواعده: **٣٠**
أهمُّ المؤلَّفات في أصول التفسير: ٣٠
فهرس الموضوعات ٣٨